

1- الإشكالية:

على مر العصور لم يعرف التقدم الإنساني هدنة، فعمليات تراكم الثقافة تتحرك بلا هوادة تارة بشكل استمراري تدرجي، وتارة أخرى بصورة طفرات نوعية غير متصلة وغير انسيابية، كما يحدث اليوم بفعل ثورات الاتصال المتلاحقة التي ما تزال تستكمل بآليات متسارعة، رسم ملامح حقبة تكنولوجية جديدة من شأنها أن تعيد صياغة الوجود الإنساني، محدثة تأثيرات غير مسبوقه ذلك أن التغيرات التي تطرأ في حقل الاتصال الإنساني تحدث عمليات إمداد وتوسع وتبدل في قدرات الإنسانالاتصالية خلال مرحلة تاريخية معينة، مؤدية بصورة حتمية إلتأثيرات تتعلق بالمعتقدات وبالقيم الجماعية وبالعقليات والسلوكيات كما بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات. يعيش الإنسان اليوم في بيئة تتسم بالتغير السريع والمستمر والذي يصعب ملاحقته في كافة الميادين، إذ شهد العصر الحديث ثورة عارمة في مجال المعلوماتية وتطورا هائلا في وسائل الاتصال، فأصبحنا مثقلين بالأخبار والمشاكل والأحداث نحاول مواكبة هذه التطورات ومسايرتها للحفاظ على بقائنا ضمن هذا العالم المتسارع حتى باتت سمة هذا العصر هي الدوائر الالكترونية التي تتمثل بشكل خاص في التلفزيون والكمبيوتر والهاتف الجوال...

إن هذا التطور في القدرة الاتصالية للإنسان في كل حقبة يحدث تغيرا في كامل النظام الاتصالي، دون أن يزيح أو يمحو وسائل الاتصال القائمة، وهذا التغير يتجلى في نشوء حالات مستجدة من علاقات التأثير الممكنة من التكامل أو التهميش أو الاستبدال المتبادل في طرائق وأساليب التفاعل الاتصالي الاجتماعي، بدءا من الاتصال الشخصي مروراً بالاتصال التماس، وانتهاءً بالاتصال الإعلامي الممتد والمعتم مؤديا في كل مرة إلبإيجاد توازن جديد في آليات الاتصال.

لقد حولت وسائل الاتصال الحديثة العالم إلى عمارة كبيرة تتصل في إطارها جميع أنحاء العالم ببعضها مباشرة، فعالمنا أصبح عالم من نوع جديد توقف فيه الزمن

واختفت فيه المساحة، فالاتصال الفوري يجعل كل العوالم الموجودة في الظروف المحيطة تتفاعل، إن التفاعل الحديث للمجتمعات ما هو إلا تاريخ للاتصال واحتكار لوسائله، هذه الوسائل أثارت مثاليات اجتماعية جديدة، هذا لأن وسائل الاتصال الحديثة المتغلغلة قد خلقت سلسلة كاملة من الظروف الجديدة، والأسلوب الذي تدرب به الإنسان قديما على العيش لم تعد له صلة بالعصر الذي نعيش فيه، لأنه يقوم على الاستجابات السيكولوجية والمفاهيم التي تأثرت بالتكنولوجيا القديمة وهذا ما يفسر عصر القلق الذي نعيش فيه.

لقد أصبح الشاب يدرك بالفطرة الظروف الحالية المحيطة، فهو يعيش بعمق ضمن إطار وسيلة الاتصال وربما كان هذا هو السبب في الفجوة الكبيرة الموجودة بين الأجيال، فالتمرد والانحراف من ظواهر الظروف الجديدة المحيطة التي خلقتها وسائل الاتصال الحديثة، رغم مزاياها وإيجابياتها الكثيرة، فقد أصبح هذا الزمن هو زمن عبور الحواجز لإزالة الفئات القديمة. لقد حولت وسائل الاتصال الحديثة العلاقات الإنسانية إلى علاقات بين أشياء، وأفرزت جيلا جديدا لا يمتلك أي احترام للقيم الاجتماعية التقليدية... إننا في عالم ملئ بالضغوط التي يجب أن يتفاعل معها إنسان اليوم للحد من آثارها.

هذا الإنسان هو القيمة العليا في الكون فهو يعيش في خضم هذه التغيرات ويسعى دائما إلي إيجاد مستوى من الرضا النفسي الاجتماعي من أجل أن يحيا حياة سليمة وسلمية، إلا أن وسائل الاتصال الحديثة (تلفزيون، انترنت، هاتف) ومارافقها من تعقيدات في نواحيها ومضامينها المختلفة، أثرت بشكل كبير ومباشر في على نفسية الفرد وسلوكياته، فهذه الوسائل سلبت الفرد ذاته وجعلته عبدا لها، وهو الذي أنشأها وأصبح تابعا لها، ومن هنا يفقد الإنسان التناغم العضوي كما هو الحال في حال الطبيعة، فتحدثت المشاكل بين ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان وبين ما يكون عليه بالفعل، ذلك أن خلق الإنسان إنما تم بشكل دقيق؛ حيث جاء بناؤه وتصويره مقتضيا لكل الأحوال والآليات الحركية التي تؤهله لأداء معين، مع توفير الظروف الموضوعية المساعدة على تحقيق الكيان الإنساني الذي

يجعله ذلك المخلوق المركب الرهيب، إيمان أن يكون إنسانا واعيا، مدركا، عاقلا، صالح، سويا، فعالا، مؤثرا، بناءً وأما أن يكون دون الأنعام مبتعدا مغتربا عن حقيقته الكونية يعاني التشتت والضياع.

إن حالات التشتت والضياع والتفكك الاجتماعي توحى بالاغتراب الاجتماعي والمجتمع بهذه الصورة يتحول تدريجيا إلى آلات ميكانيكية ناطقة *Des machines parlantes* مجردة من كل أنماط المشاعر، لأن الاغتراب الاجتماعي يحول المجتمع إلى مجرد آلة متحركة تعودت على عادات سلوكية، وبذلك يحدث الاغتراب الاجتماعي ويصبح الانسان في عالم تحكمه الوسائل، عالم ميت لا إنساني بفعل سيطرة الآلة وهيمنة تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثة على القيم والأفكار والاتجاهات.

إن أكثر الفئات تعرضا لوسائل الاتصال الحديثة هي فئة الشباب التي هي أهم فئات المجتمع، هذه الفئة التي أصيبت بالكثير من الاضطرابات والمشاكل الاجتماعية والتي جاءت في مقدمتها ظاهرة الاغتراب الاجتماعي بكل تجلياتها وأنواعها ومظاهرها كنتيجة طبيعية لعلاقة التأثير والتأثر والتعرض لوسائل الاتصال الحديثة فالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب بمثابة متغير تابع للمتغيرات التكنولوجية في وسائل الاتصال الحديثة.

إن معاناة الشباب من ظاهرة الاغتراب الاجتماعي يساهم بإيجاد عدد لا يستهان به من المشاكل الاجتماعية التي تعتبر نتيجة حتمية له، لأن الشاب في هذه الحالة يحاول الإفلات من سيطرة هذا المرض الاجتماعي من خلال اللجوء إلى الإدمان والهروب من الواقع الذي يطارده في علاقاته الاجتماعية، كحل سلبي انسحابي وبهذا المعنى أصبحت جملة من المشاكل الأخرى مرتبطة بشكل مباشر بالاغتراب الاجتماعي للشباب فالتلفزيون والانترنت والهاتف المحمول أحد أبرز العوامل التي تؤدي إلى بروز مفهوم الاغتراب الاجتماعي، وذلك من خلال الإدمان على مشاهدة التلفزيون واستخدام الانترنت والمحمول للمحادثة داخل المجتمع الإلكتروني الكبير، هذا الوضع أثر سلبا على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وخصوصا الشباب بسبب فقدان ما يسمى بعمليات

التفاعل الاجتماعي بينهم، مما يدفعهم بشكل أو بآخر إلى تبني بعض السلوكيات السيئة والإصابة بالعديد من الأمراض الاجتماعية والنفسية كإدمان المخدرات والعنف والتطرف عن القيم وغيرها الكثير، الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد نوع من الفتور والعزلة الاجتماعية التي تتحول مع مرور الوقت إلى ما يسمى الاغتراب الاجتماعي، الشيء الذي يحدث ضررا بالغا على مستوى هذه الفئة من حيث الخسائر المادية والجسدية والنفسية، فظاهرة الاغتراب ذات ملامح ومظاهر متعددة لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات الإنسانية على وجه الأرض، وحيث تعتبر ظاهرة الاغتراب من الظواهر الاجتماعية النسبية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان وتنتشر انتشارا ملموسا.

وانطلاقا من هنا يتضح تساؤل بحثنا هذا في:

- ما علاقة وسائل الاتصال الحديثة بحدوث الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب؟

ومن هذا التساؤل الرئيسي يمكن طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما أهم التأثيرات الاجتماعية لوسائل الاتصال الحديثة على الشباب؟

- هل توجد علاقة بين الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب ومشاكل الانحراف

الأخرى؟

2- فروض الدراسة:

يعتبر الفرض العلمي أحد أهم المراحل المنهجية، فهو الوسيلة التي تعيننا على فهم ظاهرة اجتماعية فهما علميا يقوم على أساس الفهم ثم التنبؤ ثم الحكم، فهو عبارة عن قضية تحمل خبرا يتعلق بعناصر واقعية و تصورية، وهو أفضل تخمين يضمن طرفا أو علاقة او عنصرا لم يثبت عنه شيء بعد لكنه يستحق البحث والاستقصاء.⁽¹⁾

وإن أي بحث علمي يبدأ بمشكلة يضع لها الباحث حلولا تكون محتملة وقد يتأكد منها الباحث خلال دراسته ويعدلها أو ينفیها، وبما إن هذه الدراسة تهدف إلى توضيح علاقة

(1) زويدان عبد الباقي، قواعد البحث العلمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1974، ص59.

وسائل الاتصال الحديثة بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب، فإننا سوف نعمل على اختبار الفرضية التالية:

- تؤدي وسائل الاتصال الحديثة إلى حدوث الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

1-2-الفرضيات الفرعية:

- تؤدي كثرة مشاهدة التلفزيون الى حدوث مشاعر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

- تؤدي كثرة استخدام الانترنت الى حدوث مشاعر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

- تؤدي كثرة استعمال الجوال الى حدوث مشاعر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

3- أهداف البحث:

إن غاية وهدف أي وسيلة تكنولوجية هي رفاهية وسعادة الإنسان وكل استراتيجية للتعامل معها لا تأخذ بعين الاعتبار البعد الإنساني والاجتماعي هي استراتيجية غير كاملة، وهي بهذا تبتعد عن الهدف الحقيقي والجوهري الذي هو الإنسان أولاً وأخيراً. ومن هذا المنطلق سوف يكون هدفنا من هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن العلاقة الارتباطية القائمة بين وسائل الاتصال الحديثة وحدث ظاهرة الاغتراب الاجتماعي.

كما سوف نهدف من خلال نتائج هذه الدراسة إلى التعرف والكشف عن العلاقة الارتباطية - ان وجدت- بين وسائل الاتصال الحديثة وظاهرة الاغتراب الاجتماعي. كما سوف نهدف الى الوصول الى بعض الآراء والتوصيات والتي من شأنها التخفيف من ظاهرة الاغتراب الاجتماعي.

كما سنسعى لفهم الارتباط بين وسائل الاتصال الحديثة وبين الآثار التي تحدثها ظاهرة الاغتراب الاجتماعي.

كما نهدف الى التعرف على مستوى ظاهرة الاغتراب لدى الشباب تبعاً للمتغيرات والفروق من حيث العمر والمستوى العلمي والحالة الاجتماعية ودرجة استعمال التقنيات الحديثة للاتصال.

4- مبررات اختيار الموضوع:

تنطلق أهمية دراسة موضوع العلاقة بين وسائل الاتصال الحديثة والاعتراب الاجتماعي لدى الشباب من الاعتبارات التالية:

- تعد ظاهرة الاعتراب الاجتماعي ظاهرة لها تأثير فعال وسلبى على الصحة النفسية والجسدية لدى الشباب.

- محاولة تسليط الضوء على ظاهرة الاعتراب الاجتماعي لدى الشباب ولما لها من تأثير بالغ في صياغة شخصية الانسان وسلوكه.

- التعرف ومن ثمة التصدي لسوء استعمال وسائل الاتصال الحديثة والعمل قدر الامكان على تقليل مخاطرها.

- الحاجة الى التعرف أكثر على ظاهرة الاعتراب الاجتماعي غير المعروف في حدود نطاق المجتمع.

-محاولة جعل وسائل الاتصال الحديثة كقوة دافعة تقود الأفراد للأمام لتحمل المسؤولية وتقبلها، دون ان تكون قوة هدامة للفرد تقوده الى تجليات الاعتراب الاجتماعي.

- الشعور بالحاجة الى هذا النوع من الدراسات في هذا المجتمع الذي لا يمكن أن يكون بمعزل عن التطورات الحاصلة التي صاحبت اطلالة العولمة ومؤثراتها، التي لم يعد من الممكن لأي مجتمع ان يكون بمنأى عنها.

- احساسى بالأهمية وما لاحظته من خلال اتصالي ومعايشتي للشباب، حيث لاحظت ضعف الاهتمام بالحياة وعدم وضوح الأهداف، ونتيجة لذلك ما يلاحظ من انطواء وعزلة سلبية وعدم القدرة على مواجهة المواقف.

- قلة الدراسات التي تناولت العلاقة بين وسائل الاتصال الحديثة وظاهرة الاعتراب الاجتماعي.

5- أهمية الدراسة:

لقد أصبح موضوع الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالتكنولوجيا أحد الموضوعات الهامة في وقتنا الحاضر، وقد لقي الاهتمام سواء من طرف الباحثين في علم الاجتماع والادارة والاقتصاد وعلم النفس، وقد ارتأينا تناوله لما له من الأهمية البالغة لا سيما في وقتنا الراهن ويمكن أن نوجز أهمية هذه الدراسة في:

5-1- الأهمية النظرية:

تسعى هذه الدراسة الى متابعة الدراسات التي سبقتها في مجال علاقة وسائل الاتصال بالاغتراب الاجتماعي والتي تعد محدودة، رغم ما لهذه الظاهرة من أثر في المجتمع إذ هناك ارتباط وثيق بين ما يعانيه الشباب من اغتراب بفعل وسائل الاتصال الحديثة وما يصاحبه من آثار عضوية ونفسية وسلوكية.

5-2- الأهمية العلمية:

تكمن الأهمية العلمية في محاولتنا من خلال هذه الدراسة الى الكشف عن مسببات الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب، خاصة فيما يتعلق بوسائل الاتصال الحديثة وآثرها على الشباب ومحاولة توفير معلومات حول هذه الظاهرة؛ مبنية على دراسات وبيانات ميدانية ومحاولة إيجاد بعض السبل والأساليب التي من شأنها التقليل من الظاهرة. فسوء ادارة وفهم هذه الظاهرة وعدم الوقاية منها يزيد من حدة الآثار الاجتماعية السيئة، ومعرفة هذه الظاهرة كما يجب يؤدي الى نتائج جيدة على مستوى الفرد والمجتمع، واعتبار أن ظاهرة الاغتراب ظاهرة انسانية توجد في كل أنماط الحياة وتعد من أهم قضايا عصر العولمة واحدى سماته البارزة وتتخذ مظاهر وملامح متعددة.

6- تحديد المفاهيم:

6-1- الاغتراب: ويقصد بالاغتراب في هذه الدراسة أنه شعور الفرد بالانفصال عن

الآخرين أو عن الذات أو كليهما.

أو: ما يعانيه الشاب من مظاهر مثل فقدان الشعور بالانتماء وعدم الالتزام بالمعايير

وبالعجز وعدم الإحساس بالقيمة وفقدان الهدف وفقدان المعنى والتمركز حول الذات.

6-2- العلاقة: هو تأثير متبادل بين ظاهرتين أو ارتباط بين متغيرين ومن أشكال

العلاقة بين الظواهر:

- إما أن تكون طردية موجبة.

- وإما أن تكون عكسية سالبة.

6-3- الشباب:

يشير مفهوم الشباب الى فئة تتمتع بالقوة والنشاط والفاعلية في بناء المجتمعات والتي تشكل جوهر الحركية ومضمون التجديد في المجتمع وامتداد قوتها من فئة الشباب. وفي دراستنا هذه نقصد بالشباب تلك الفئة التي تتراوح اعمارهم بين 20 عاما الى غاية 29 عاما.

6-4- وسائل الاتصال الحديثة:

6-4-1- التلفزيون:

طريقة إرسال واستقبال الصورة والصوت بأمانة من مكان إلى آخر، بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية والكابلات النحاسية (الألياف البصرية مؤخرا) والأقمار الصناعية بمحطاتها الأرضية.

6-4-2- الانترنت:

عبارة عن شبكة ضخمة تضم بداخلها مجموعة كبيرة من الشبكات المعلوماتية العمومية والخاصة والمتصلة ببعضها البعض.

6-4-3- الهاتف الجوال:

يمكن القول بانه عبارة عن جهاز لا سلكي مربوط بطريقة مباشرة بشبكة الاتصالات محليا وعالميا يستعمله الأفراد من أي مكان يشاءون، وفي أي وقت بغرض الاتصال بأشخاص آخرين في مواقع مختلفة من العالم للتواصل والتفاعل معهم.

7- الدراسات السابقة:

نظرا لنقص وشح الدراسات التي تناولت موضوع الدراسة بصفة مباشرة، لذلك تم استعراض عدد من الدراسات التي تناولت الصعوبات والمشكلات المترتبة على ذلك الاستخدام موزعة إلى قسمين: الدراسات العربية والدراسات الأجنبية.

7-1- الدراسات العربية:

7-1-1- دراسة النفعي (2002م)¹:

هدفت الدراسة إلى الإجابة على سؤال البحث التالي: ما مدى انحراف مرتادي

مقاهي الإنترنت إلى الجريمة؟

وقد سعت الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف وهي: التعرف على نوع الفئة

المرتادة لمقاهي الإنترنت، والتعرف على العوامل التي تجذب المرتدين للتوجيه إلى

¹ النفعي، مزيد بن مزيد (2002م)، مقاهي الإنترنت والانحراف إلى الجريمة بين مرتاديهيها ، دراسة تطبيقية على مقاهي الإنترنت بالمنطقة الشرقية ، المنشاوي للدراسات والبحوث

مقاهي الإنترنت، والتعرف على أثر التعامل مع الإنترنت في المقاهي على الانحراف السلوكي الجنائي للمرتادين، والكشف عن علاقة الخصائص الديموغرافية لمرتادي مقاهي الإنترنت بأرائهم نحو مقاهي الإنترنت والانحراف إلى الجريمة بين مرتاديهـا. وقد أظهرت الدراسة العديد من النتائج نذكر منها انه أتضح من متوسط أراء أفراد عينة الدراسة من مرتادي مقاهي الإنترنت، حيال أثر التعامل مع الإنترنت في المقاهي على الانحراف السلوكي للمرتادين، وجود أثار سلبية نوعا ما للتعامل مع الانترنت في المقاهي على الانحراف السلوكي للمرتادين كان على رأسها وجود روابط في العلاقات عبر الانترنت قد تؤدي إلى علاقات غير شرعية بين الجنسين. ومن أبرز توصيات البحث: " التأكيد على منع ارتياد صغار السن لمقاهي الانترنت مع توقيع عقوبات مناسبة وفرض غرامات مالية على المقاهي التي تخالف ذلك، ودعوة الجهات الرسمية والجمعيات الأهلية المختصة بحماية النشء ووقاية المستخدمين من الانحراف بقيامها بدور فعال تجاه توعية الأسر من مخاطر الاستخدام السيئ لشبكة الانترنت على الأبناء.

7-1-2- دراسة الصالح ورحال (2002م)¹:

أشارت الدراسة إلى ان العالم قد شهد في السنوات الاخيرة جملة من التحديات المعلوماتية ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية، كما أشارت الدراسة إلى أن أثر هذه التحديات على العالم تتلخص في ما يلي:

التحديات السياسية: والتي جاءت نتيجة بروز ظاهرة النظام العالمي الجديد وهيمنة القوة الواحدة والتكتلات السياسية.

التحديات الاقتصادية: والتي جاءت نتيجة لظاهرة عولمة الاقتصاد وانفتاح السوق ومحاولات الهيمنة التجارية من خلال التكتلات الاقتصادية ونشوء الشركات القارية.

¹ - الصالح بدر عبد الله ورحال، محمد صلاح، (2002). التقنية ومدرسة المستقبل: خرافات وحقائق، ندوة مدرسة المستقبل، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،

<http://www.Ksu.edu.sa/seminars/future-school/Papers/Alsaleh paper.rtf>

التحديات الاجتماعية والأخلاقية: حيث أصبحت التحديات المعلوماتية تنذر بمخاطر العزلة الاجتماعية والاستخدام غير الأخلاقي للمعلومات.

التحديات الثقافية: حيث تحدثت الدراسة عن ظاهرة الانفتاح الحضاري أو عولمة الثقافة والدعوة لحوار الحضارات وتقبل الرأي الآخر، وتبعات ذلك على الخصوصية الثقافية للأمم.

التحديات التربوية: حيث تشير إلى أن التحديات المعلوماتية قد شكلت بأبعادها المختلفة منطلقاً لدعوات عديدة بضرورة إصلاح النظام التربوي بجميع مدخلاته ومخرجاته، خصوصاً في ضوء عجز النظام الحالي عن مواجهة التحديات التي أفرزتها تقنية المعلومات والاتصال.

كما أشارت الدراسة إلى تحول العالم من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلوماتي.

3-1-7 دراسة العتوم (2004م)¹:

هدفت هذه الرسالة إلى تحديد مفهوم الإدمان بشكل عام والإدمان النفسي والجسدي بشكل خاص مع التركيز على مفهوم الإدمان على الحاسوب والانترنت، كما تناولت الدراسة الإدمان على الحاسب والانترنت ومؤشرات الإدمان على الحاسب والانترنت وطرق تشخيصه، ومجالاته وأسبابه، والآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليه، وبعض إجراءات الوقاية والعلاج والسلامة العامة عند التعامل مع حالات الإدمان من الطلبة والأطفال.

واقترح الباحث في نهاية دراسته عدد من الإجراءات الذاتية التي يمكن أن تساعد الطالب الجامعي أو الراشد على التخلص من الإدمان أو التخفيف من الإدمان على الحاسوب أو الانترنت.

4-1-7-التعليق على الدراسات العربية السابقة:

¹ - العتوم عدنان: إدمان الحاسب والانترنت: الأغراض والعوامل والآثار والوقاية، ورقة عمل (ندوة الحاسوب في التعليم اليوم العلمي الثالث)، كلية اربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2003.

بعد استعراض الدراسات السابقة أن نلخص النقاط الهامة التالية والتي تعرضت لها تلك الدراسات:

-إن المجتمعات العربية الإسلامية تتعرض لمجموعة من الأخطار والتحديات الخارجية؛ جراء الانفتاح المعرفي على العالم الخارجي وتطور وسائله التكنولوجية وعدم الوضوح في العلاقة بين المحلية والعالمية في المتغيرات الثقافية والمعرفية الاقتصادية والسياسية في العالم.

- أن المجتمعات العربية بحاجة إلى إعادة صياغة الأساليب التربوية بما يتوافق مع معطيات العصر من جهة وبما لا يناقض المبادئ والعادات والتقاليد والعقيدة من جهة أخرى.

2-7- الدراسات الأجنبية:

7-2-1- دراسة ديفيس (Davis، 2001م)⁽¹⁾:

خلصت الدراسة إلى أن أسس العلاج النفسي في كثير من مراكز الخدمات يعتمد على نماذج العلاج النفسي السلوكي المعرفي (Cognitive-BehavioralTherapy) حيث يقترح هذا النموذج أن الإدمان النفسي على الحاسوب والانترنت هو حالة مرضية تتضمن المرض والاكتئاب وتنطوي على العديد من الأفكار اللاعقلانية التي تتطلب العلاج النفسي، وقد حدد ديفيس عدد من العوامل المساعدة على تنمية الحاجة إلى الإرشاد والعلاج النفسي منها:

- 1) هنالك معززات سلوكية ترتبط مع الإدمان مثل جو الاستخدام ومحتويات الاستخدام كالكرسي الذي يجلس عليه والفأرة ولوحة المفاتيح والشاشة والأصوات التي يخرجها الحاسوب وغيرها، ما يعطي لهذه العناصر أهمية خاصة كمعزز للاستخدام.
- 2) اعتماد الشخص المدمن على الدعم الاجتماعي المقدم من الأفراد الموجودين على الشبكة.

⁽¹⁾-Davis R.(2001) Treatment of Internet Addiction,<http://www.internetaddiction.ca/treatment.htm> -

(3) استمرار زيادة حدة بعض الخصائص المرتبطة مع الاعتمادية كالقلق والتوتر والاكنتاب.

(4) تكوين معتقدات خاطئة حول الاستخدام الجائر للحاسوب بما يضمن الاستمرارية والاعتمادية التامة.

7-2-2- دراسة، سكرر وبوست (Scherer & Bost; 2002)⁽²⁾:

وقد شملت دراستهم (531) طالبا جامعيًا مستخدمًا للإنترنت حيث تبين أن (13%) من العينة انطبقت عليهم معايير الإدمان وأن الإدمان أثر على أدائهم الأكاديمي ومهارتهم الاجتماعية، وقد خلص الباحثين إلى مجموعتين من الآثار الاجتماعية والنفسية التي خلفها إدمان استخدام الحاسوب والإنترنت، فمن الآثار الاجتماعية تبني أنماط حياتية تتميز بالعزلة وضعف التفاعل الاجتماعي، وإضعاف قدرة الفرد على القيام بدوره الاجتماعي وظهور مصطلح (الزوج/ الابن الإلكتروني)، وتعميق الفجوة بين الأبناء والآباء.

وأما من الناحية النفسية فقد توصلت الدراسة إلى أن مدمن الحاسوب والإنترنت يشعر بالذنب والتقصير في أدائه لواجباته وشعوره بالإحباط عند الانتقال من عالم الحاسوب الخيالي إلى العالم الحقيقي والإحساس بالوحدة نتيجة بعده عن بيئته الاجتماعية، مما يؤثر في مجمله على انخفاض الأداء العام للشخص المدمن على استخدام الحاسوب والإنترنت.

7-2-3- التعليق على الدراسات الأجنبية السابقة:

من النقاط الهامة والتي تعرضت لها تلك الدراسات:

⁽²⁾ – scherer.K.Bost.j ; Internet Use Patterns. Paper presented at the 10th Annual Convention of the American Psychological Association, Chicago ; Illinois;(2002).

- أن الإدمان النفسي على الحاسوب والإنترنت هو حالة مرضية تتضمن المرض والاكتئاب وتنطوي على العديد من الأفكار اللاعقلانية التي تتطلب العلاج النفسي.
- أن هنالك معززات سلوكية ترتبط مع الإدمان مثل جو الاستخدام ومحتويات مكان الاستخدام كالكرسي الذي يجلس عليه والفأرة ولوحة المفاتيح والشاشة والأصوات التي يخرجها الحاسوب وغيرها مما يعطي لهذه العناصر أهمية خاصة كمعزز للاستخدام.
- اعتماد الشخص المدمن على الدعم الاجتماعي المقدم من الأفراد الموجودين على الشبكة.
- استمرار زيادة حدة بعض الخصائص المرضية المرتبطة مع الاعتمادية والتوتر والاكتئاب.
- تكوين معتقدات خاطئة حول الاستخدام الجائر للحاسوب والإنترنت بما يضمن الاستمرارية.
- أن من الآثار التي خلفها إدمان استخدام الحاسوب والإنترنت الآثار الاجتماعية، تبني أنماط حياتية تتميز بالعزلة وضعف التفاعل الاجتماعي وإضعاف قدرة الفرد على القيام بدوره الاجتماعي، وتعميق الفجوة بين الأبناء والآباء.
- أن مدمن الحاسوب والإنترنت يشعر بالذنب والتقصير في أدائه لواجباته وشعوره بالإحباط عند الانتقال من عالم الحاسوب الخيالي إلى العالم الحقيقي والإحساس بالوحدة نتيجة بعده عن بيئته الاجتماعية، مما يؤثر في مجمله على انخفاض الأداء العام للشخص المدمن على استخدام الحاسوب والإنترنت.
- أن من أهم السلبيات هو الاختلافات بين الثقافات والتي برزت بزوال العوائق الجغرافية.

8- المقاربة النظرية:

تعد النظرية التكنولوجية لوسائل الإعلام، من النظريات الحديثة التي ظهرت عن دور وسائل الإعلام وطبيعة تأثيرها على مختلف المجتمعات، ومبتكر هذا النظرية (مارشال ماكلوهان).

وبشكل عام، يمكن القول أن هناك أسلوبان أو طريقتان للنظر إلى وسائل الإعلام من حيث:

1- أنها وسائل لنشر المعلومات والترفيه والتعليم.

2- أو أنها جزء من سلسلة التطور التكنولوجي.

إذا نظرنا إليها على أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم، فنحن نهتم أكثر بمضمونها وطريقة استخدامها، والهدف من ذلك الاستخدام.

وإذا نظرنا إليها كجزء من العملية التكنولوجية التي بدأت تغير وجه المجتمع كله شأنها في ذلك شأن التطورات الفنية الأخرى، فنحن حينئذ نهتم بتأثيرها، بصرف النظر عن مضمونها. (1).

يقول مارشال ماكلوهان أن (مضمون) وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلاً عن تكنولوجية الوسائل الإعلامية نفسها، فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية الموضوعات، والجمهور الذي توجه له رسالتها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل

(1) -شريف درويش اللياث، تكنولوجيا الاتصال المخاطر والتحديات و التأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ط1، ص 146.

ولكن طبيعة وسائل الاتصال التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال⁽²⁾.

فبينما كان كارل ماركس يؤمن بالحمية الاقتصادية، وبأن التنظيم الاقتصادي للمجتمع يشكل جانباً أساسياً من جوانب حياته، وبينما كان فرويد يؤمن بأن الجنس يلعب دوراً أساسياً في حياة الفرد والمجتمع، يؤمن ماكلوهان بأن الاختراعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر تأثيراً أساسياً على المجتمعات⁽¹⁾.

وقد تابع ماكلوهان هذه الفكرة ليعرف أهميتها التكنولوجية، مما جعله يطور فكرة محددة عن الصلة بين وجود الاتصال الحديث في المجتمع والتغيرات الاجتماعية التي تحدث في ذلك المجتمع، ويقول ماكلوهان أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، ولكن أيضاً في الحساسيات الإنسانية، والنظام الاجتماعي في رأيه يحدده المضمون الذي تحمله هذه الوسائل⁽²⁾، وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام لا نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات، فاختراع اللغة المنطوقة هو الذي ميّز بين الإنسان والحيوان، ومكن البشر من إقامة المجتمعات والنظم الاجتماعية وجعل التطور الاجتماعي ممكناً، وبدون اختراع الكتابة ما كان التحضر ممكناً، بالرغم من أن اختراع الكتابة ليس الشرط المسبق الوحيد للحضارة، فالإنسان يجب أن يأكل قبل أن يستطيع الكتابة إلا أنه بفضل الكتابة، تم خلق شكل جديد للحياة الاجتماعية وأصبح الإنسان على وعي بالوقت، وأصبح التنظيم الاجتماعي يمتد إلى الخلف (أي إلى الماضي)، وإلى الأمام (أي إلى المستقبل)، بطريقة لا يمكن أن توجد في مجتمع شفهي صرف؛ فالحروف الهجائية هي تكنولوجيا يستوعبها الطفل الصغير بشكل لا شعوري تماماً، (بالاستيعاب التدريجي)، والكلمات ومعانيها تُعد الطفل لكي يفكر ويعمل بطرق

(2) - حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص 76.

(1) - حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص 88.

(2) - شريف درويش اللياث، مرجع سابق، ص 151.

معينة بشكل آلي، فالحروف الهجائية وتكنولوجيا المطبوع طورت وشجعت عملية التجزئة وعملية التخصص والابتعاد بين البشر، بينما عملت تكنولوجيا الكهرباء على تقوية وتشجيع الاشتراك والتوحيد⁽³⁾.

وفي الواقع، بدلاً من الحديث عن الحتمية التكنولوجية، قد يكون من الأدق أن نقول أن المتلقي يجب أن يشعر بأنه مخلوق له كيان مستقل، قادر على التغلب على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس لما يحدث حولهم، وأنه لا يجب اعتبار التغيير التكنولوجي حتمياً أو لا مفر منه، ذلك لأننا إذا فهمنا عناصر التغيير يمكننا أن نسيطر عليه ونستخدمه في أي وقت نريده بدلاً من الوقوف في وجهه⁽¹⁾.

ويعرض ماكلوهان أربع مراحل تعكس في رأيه تطور التاريخ الإنساني:

1- المرحلة الشفوية كلية، مرحلة ما قبل التعلم، أي المرحلة القبلية.

Tribalism , Totally Oral , Preliterate

2- مرحلة كتابة النسخ --SS Codification by

التي ظهرت بعد هومر في اليونان القديمة واستمرت ألفي عام.

3- عصر الطباعة: من سنة 1500 إلى سنة 1900 تقريباً.

4- عصر وسائل الإعلام الإلكترونية: من سنة 1900 تقريباً، حتى الوقت الحالي.

وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع

أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل⁽²⁾.

وباختصار يدعي ماكلوهان أن التغيير الأساسي في التطور الحضاري منذ أن تعلم

الإنسان أن يتصل، كان من الاتصال (الشفهي) إلى الاتصال (السطري) ثم إلى الاتصال

(الشفهي) مرة أخرى⁽³⁾، ولكن بينما استغرق التغيير من الشفهي إلى السطري قرناً، تم

الرجوع أو التحول مرة أخرى إلى الشفهي في حياة الفرد الواحد.

(3) - ابو عرقوب ابراهيم، الاتصال الانساني و دوره في التفاعل الاجتماعي، دار محمد لاوي، الاردن، 1999، ص91.

(1) - ابو عرقوب ابراهيم، المرجع السابق، ص 102.

(2) - سلوى عثبات، هناك بدوي ابعاد العملية الاتصالية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999، ص146.

(3) - المرجع نفسه، ص 148.

8-1- الاتصال الشفهي:

وفقا لما يقول ماكلوهان، فإن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس (السمع والبصر واللمس والشم والتذوق) مع بعضها البعض وكل اختراع تكنولوجي جديد يعمل على تغيير التوازن بين الحواس، فقبل اختراع جوتنبرج للحروف المتحركة في القرن الخامس عشر كان التوازن القلبي القديم يسيطر على حواس الناس، حيث كانت حاسة السمع هي المسيطرة⁽¹⁾.

وقد أثر أسلوب الاتصال على الناس وجعلهم عاطفيين أكثر، وذلك لأن الكلمة المنطوقة عاطفية أكثر من الكلمة المكتوبة، فهي تحمل عاطفة بالإضافة إلى المعنى وكانت طريقة تنعيم الكلمات تنقل الغضب أو الموافقة أو الرعب أو السرور أو التهكم، الخ... وكان رد فعل الرجل القلبي - الذي يعتمد على حاسة الاستماع - على المعلومات يتسم بقدر أكبر من العاطفة، فكان من السهل مضايقته بالإشاعات، كما أن عواطفه كانت تكمن دائماً قريبة من السطح، لكن ريشة الكتابة وضعت نهاية للكلام وساعدت في تطوير الهندسة وبناء المدن، وجعلت الطرق البرية والجيش والبيروقراطية من الأمور الممكنة، وكانت الكتابة هي الأداة أو الوسيلة الأساسية التي جعلت دورة الحضارة تبدأ، فكانت خطوة إلى الأمام من الظلام إلى نور العقل، فاليد التي قامت بملء صفحات جلد الماعز بالكتابة هي نفسها التي قامت ببناء المدن، وتعلم الإنسان رسم ما يقوله (الحديث) ولغة العيون، كما تعلم كيف يلون الفكر ويجعل له بناء أو كيان؛ فالحروف الهجائية جعلت عالم الأذن السحري يستسلم لعالم العين المحايد⁽²⁾.

8-2- الاتصال السطري (المطبوع):

(1) - خيرى خليل الجميلين، الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب العلمي للكمبيوتر، الاسكندرية، 1996، ص 59.
(2) - المرجع نفسه، ص 66.

يمكننا أن نقول أن مجتمعات ما قبل التعلم كانت تحتفظ بالمضمون الثقافي في ذاكرة أجيال متعاقبة، ولكن تغيّر أسلوب تخزين المعرفة حينما أصبحت المعلومات تختزن عن طريق الحروف الهجائية، وبهذا حلتّ العين محل الأذن كوسيلة الحس الأساسية، التي يكتسب بفضلها الفرد معلوماته، وسهّل الكلام البشري الذي (تجمّد زمنياً) الآن بفضل الحروف الهجائية، إقامة إدارات بيروقراطية قوية، واتجاهات قبلية⁽¹⁾.

ولمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة تشكل التاريخ الانساني بظهور الحروف الهجائية الصوتية، وهي وسيلة تعتمد على العين فقط لفهمها، والحروف الهجائية تقوم على بناء الأجزاء أو القطع المجزأة ليس لها في حد ذاتها معنى دلالي، والتي يجب أن توضع مع بعضها في أسطر، وفي ترتيب معين ليصبح لها معنى، وقد روجت وشجعت استخدام تلك الحروف عادة إدراك كل الظروف المحيطة على أساس المساحة والزمن⁽²⁾.

كما يقول ماكلوهان: العين لا تستطيع أن تختار ما تراه، ولا تستطيع أن ترحو الأذن أن تتوقف عن الاستماع، فأجسامنا أينما وجدت تشعر، سواء بإرادتنا أو الرغم منا، وكان على الفرد لكي يشرح رد فعله البسيط على طلوع الفجر مثلاً، الذي قد يستغرق خمس ثوان، أن يضعه في كلمات وفي جملة بعد جملة، لكي يستطيع أن يقول لشخص آخر ما الذي يعنيه طلوع الفجر بالنسبة له، وقد أكمل اختراع جوتنبرج ثورة الحروف الهجائية، فأسرعت الكتب بعملية فك الشيفرة التي نسميها قراءة، وتعددت النسخ المتطابقة، وساعد المطبوع على نشر الفردية لأنه شجع - كوسيلة أو أداة شخصية للتعليم - المبادرة والاعتماد على الذات، ولكن عزل المطبوع البشر فأصبحوا يدرسون وحدهم، ويكتبون وحدهم، وأصبحت لهم وجهات نظر شخصية، عبّروا بها عن أنفسهم للجمهور الجديد الذي خلقه المطبوع، وأصبح التعليم الموحد ممكناً⁽³⁾.

(1) - m. marchand, la communication a domicile, la communication française, paris, 1989, p 219.

(2) - شريف درويش اللياث، مرجع سابق، ص48.

(3) - المرجع نفسه، ص 50.

3-8- العودة إلى الاتصال الشفهي :

يسمى ماكلوهان المرحلة التي نعشها حالياً عصر (الدوائر الإلكترونية)، كما تتمثل بشكل خاص في التليفزيون والكمبيوتر، فالإلكترونيات، بتوسيعها وتقليدها لعمل العقل البشري، وضعت نهاية لأسلوب تجريد الواقع، وأعدت القبلية للفرد مرة أخرى كما أحدث نتائج ثقافية واسعة النطاق.

ويقول ماكلوهان أن الأنماط الكهربائية للاتصال، مثل التلغراف والراديو والتليفزيون والسينما والتليفون والعقول الإلكترونية، تشكل هي الأخرى الحضارة في القرن العشرين وما بعده، وبينما شاهد إنسان عصر النهضة الطباعة، وهي شيء واحد في الوقت الواحد، في تسلسل متوال، مثل سطر من الحروف، فإن الإنسان الحديث يجرب قوى كثيرة للاتصال، في نفس الوقت، وأصبحت عادة قراءة الكتاب تختلف عن الطريقة التي ننظر بها إلى الجريدة، ففي حالة الجريدة لا نبدأ بقصة واحدة نقرأها كلها ثم نبدأ قصة أخرى، ولكن تنتقل أعيننا في الصفحات لتستوعب مجموعة غير مستمرة من العناوين والعناوين الفرعية، والفقرات التي تقدم الموضوعات، والصور والإعلانات⁽¹⁾.

ومن الناحية السياسية، يرى ماكلوهان أن سائل الإعلام الجديدة تحول العالم إلى (قرية عالمية Global Village) تتصل في إطارها جميع أنحاء العالم ببعضها مباشرة. كذلك تقوي تلك الوسائل الجديدة العودة (للقبلية) في الحياة الإنسانية، فعالمنا أصبح عالماً من نوع جديد، توقف فيه الزمن واختفت فيه (المساحة) لهذا بدأنا مرة أخرى في بناء شعور بدائي ومشاعر قبلية، كانت قد فصلتنا عنها قرون قليلة من التعليم. علينا الآن أن ننقل تأكيد انتباهنا من الفعل إلى رد الفعل، ويجب أن نعرف الآن مسبقاً نتائج أي سياسة أو أي عمل، حيث أن النتائج تحدث أو يتم تجربتها بدون تأخير وبسبب سرعة الكهرباء لم نعد نستطيع أن ننتظر ونرى، ولم تعد الوسائل البصرية

(1) - أيد شاعر البكري، عام 2000 حرب المحطات الفضائية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص4.

المجردة في عالم الاتصال الكهربائي السريع صالحة لفهم العالم، فهي بطيئة جداً مما يقلل من فاعليتها⁽¹⁾.

4-8- الوسيلة هي الرسالة:

يرفض ماكلوهان رأي نقاد وسائل الإعلام الذين يدعون أن وسائل الإعلام الجديدة ليست في حد ذاتها جيدة أو رديئة، لكن الطريقة التي تستخدم بها هذه الوسائل هي التي ستحد أو تزيد من فائدتها، فمضمون التلفزيون الضعيف ليس له علاقة بالتغيرات الحقيقية التي يسببها التلفزيون، كذلك قد يتضمن الكتاب مادة تافهة أو مادة كلاسيكية، ولكن ليس لهذا دخل بعملية قراءته، فالرسالة الأساسية في التلفزيون هي التلفزيون نفسه، العملية نفسها، فالرأي الذي يقول أن وسائل الاتصال أدوات يستطيع الإنسان أن يستخدمها في الخير أو الشر، رأي تافه عند ماكلوهان⁽²⁾.

فالتكنولوجيا الحديثة، مثل التلفزيون أصبحت ظرفاً جديداً محيطاً بمضمونه ظرف أقدم، وهذا ظرف الجديد يعدل جذريا الأسلوب الذي يستخدم به الناس حواسهم الخمس، والطريقة التي يستجيبون بها إلى الأشياء، ولا يهم إذا عرض التلفزيون عشرين ساعة يوميا أفلام (رعاة البقر) التي تنطوي على عنف وقسوة، أو برامج ثقافية راقية، فالمضمون غير مهم، ولكن التأثير العميق للتلفزيون هو الطريقة التي يعدل بمقتضاها الناس الأساليب التي يستخدمون بها حواسهم ويعبر عن هذا بقوله المختصر المشهور (الوسيلة هي الرسالة-The Medium Is The Message) ويعتبر هذا من أهم الإضافات التي قدمها مارشال ماكلوهان⁽³⁾.

وقد حلل ماكلوهان الطريقة التي يفترض أن المطبوع يؤثر بمقتضاها، وقال أن المطبوع يفرض منطقاً معيناً على تنظيم التجربة البصرية، لأنه يحطم الواقع إلى وحدات منفصلة ومتصلة بشكل منطقي وسببي، يتم إدراكه بشكل سطري على الصفحة بعد

(1) - مهنا فريال، الاعلام الفضائي ووقائع العولمة، المجلة المصرية لبحوث الاعلام، العدد 7، جامعة القاهرة، ص 157.

(2) - مهنا فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 161.

(3) - المرجع نفسه، ص 162.

تجربتها من طبيعة الحياة الكلية غير المرتبة وذات الأبعاد الحسية المتعددة، ويسبب هذا عدم توازن في العلاقة بالظروف المحيطة به.

ونظراً لأن التكنولوجيا الحديثة المتغلغلة قد خلقت سلسلة كاملة من الظروف الجديدة، فنحن نشعر بالقلق لأننا نحاول أن نقوم بعمل اليوم بأدوات الأمس، وبمفاهيم الأمس، لذلك نشهد حالياً أوقاتاً صعبة نتيجة للتصادم بين تكنولوجيتين عظيمتين، فنحن نقرب من الجديد بالاستعداد السيكولوجي للقديم، وباستجاباتنا الحسية الملائمة للقديم وهذا الصدام يحدث بالطبع في المرحلة الانتقالية، فالفن في أواخر العصور الوسيطة عبّر عن الخوف من تكنولوجية المطبوع⁽¹⁾.

اليوم نظراً لأن ظروفنا المحيطة أصبحت تتغير بسرعة، أصبحنا قادرين حالياً على رؤية المستقبل، من الظروف المحيطة الحالية فالفلسفة الوجودية ومسرح العبث هي ظواهر المحيط الجديد الذي يعتمد على الكهرباء، هذه الظواهر تمثل الفشل الشائع الناتج عن محاولتنا أن نقوم بالعمل المطلوب الذي تتطلبه الظروف الجديدة المحيطة بأدوات أو وسائل الظروف القديمة، حالياً يسمح لشباب اليوم بإدراك معالجة التراث التقليدي للبشرية من خلال باب الوعي التكنولوجي، فقد أغلق المجتمع هذا الباب الوحيد الممكن ذلك لأن المجتمع ينظر إلى الشاب من خلال مرآة تعكس الأشياء والخليفة (أي الماضي)، إذ يعيش الشباب اليوم بعمق في عالم خيالي أو سحري بينما يواجهه - عندما يتعلم - ظروفًا منظمة على أساس المعلومات المصنفة، أي الموضوعات غير المتصلة التي يتم إدراكها بصرياً على أساس خطي⁽²⁾.

(1) - مهنا فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، مرجع سابق، ص 187.

(2) - المرجع نفسه، ص 190.